طريق النصر يبدأ من ثبات القلوب قبل مواجهة الأعداء

الجمعة 14 أغسطس 2026 05:00 م

قصة طالوت وبني إسرائيل في القرآن ليست مجرد خبر عن أمة مضت، بل هي مدرسة إيمانية تكشف حقيقة النفوس عند الاختبار، وتبين أن الحماس وحده لا يكفي، وأن صدق الإيمان يظهر عند لحظة التكليف والثبات. قال الله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [البقرة: 246]، لتبدأ القصة بسؤال عن قوم طلبوا القيادة والاستعداد لنصرة الحق.

وتكشف الآيات أن طريق النصر لا يقوم على الأماني والشعارات، وإنما على الطاعة والصبر والإخلاص والثبات عند نزول التكليف، فقد ادعى القوم العزم، فلما جاء وقت الاختبار قال الله تعالى: فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة: 246]، لتبقى القصة عبرة لكل من يحمل دعوى الخير ثم يتراجع عند الشدة.

الدعوى تحتاج إلى اختبار

قال الله تعالى: إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ [البقرة: 246]، فقد اجتمع ملأ بني إسرائيل إلى نبيهم يطلبون قائدًا يقودهم إلى القتال، وكان ظاهر كلامهم يحمل رغبة في نصرة الحق والدفاع عن ديارهم وأبنائهم.

لكن نبيهم لم يكتفِ بسماع كلمات الحماس، بل أراد أن يكشف حقيقة العزائم، فقال لهم كما أخبر القرآن: قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا [البقرة: 246]، أي هل تضمنون الثبات إذا أصبح الأمر واجبًا عليكم.

وفي هذا الموقف درس عظيم بأن الادعاءات سهلة، أما الوفاء بالعهد والطاعة عند المشقة فهي التي تكشف صدق القلوب، فكم من إنسان يرفع شعارات عظيمة، لكنه يتراجع عندما يأتي وقت التضحية.

الثبات عند نزول البلاء

أجاب القوم نبيهم بقولهم: وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَائِنَا [البقرة: 246]، فقد ذكروا ما أصابهم من ظلم وإخراج من الوطن وفقد للأهل، ورأوا أن القتال طريق لاسترداد الحق.

غير أن القرآن يكشف سرعة تغير بعض النفوس، فقال تعالى: فَلَمَّا كُتِّبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ [البقرة: 246]، فظهر الفرق بين من يتحدث عن نصرة الحق ومن يصبر عندما تصبح التكاليف حقيقية.

وهنا يتعلم المؤمن أن الطريق إلى الله يحتاج إلى تربية طويلة للنفس، لأن الثبات لا يولد لحظة المواجهة، بل يبنى بالإيمان والطاعة والصبر في كل مراحل الحياة.

فضل الفئة الصابرة

لم يكن القليل الذين ثبتوا أصحاب عدد أو قوة، ولكنهم امتلكوا أعظم ما تحتاجه الأمم من صفات: الإيمان والثبات والطاعة، ولذلك قال الله تعالى: وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ [البقرة: 246]، فهو يعلم من يفي بالعهد ومن ينكثه.

وقد بين أهل العلم أن الفئة القليلة الصابرة كانت سببًا في عودة القوة إلى الأمة، حتى قاد داود عليه السلام بني إسرائيل بعد ذلك إلى مواطن النصر، لتبقى العبرة بأن النصر لا يقاس بكثرة العدد وإنما بصدق القلوب.

إن الله سبحانه قد يبتلي عباده ليميز الصادق من المدعي، ويظهر أهل الثبات من أهل التراجع، ولذلك قال تعالى في مواضع كثيرة إن الابتلاء سنة ماضية لتمييز الصفوف.

القيادة والطاعة في طريق الإصلاح

توضح القصة أن الأمم لا تستقيم بلا قيادة رشيدة، فقد طلب بنو إسرائيل ملكًا يقودهم، لأن اجتماع الكلمة يحتاج إلى قائد يسمع له الناس ويجتمعون على أمر واضح.

كما أن القيادة وحدها لا تكفي، بل لا بد من طاعة القائد في المعروف، لأن التفرق والتردد عند لحظات الحسم يؤديان إلى ضياع المقاصد الكبرى.

ولهذا كانت طاعة القيادة الصالحة من أسباب النجاح، بشرط أن تكون في إطار الحق والعدل، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق» رواه أحمد وصححه أهل العلم.

الجهاد بين الحق والمسؤولية

تعلمنا الآية أن الدفاع عن الحق ورفع الظلم يحتاج إلى إعداد وصبر وليس إلى مجرد تمنيات، فالمؤمن مطالب بالأخذ بالأسباب مع الاعتماد على الله.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تتمنوا لقاء العدو وسلوا الله العافية فإذا لقيتموه فاصبروا» رواه البخاري رقم 2966 ومسلم رقم 1742، وفي الحديث توجيه إلى عدم الاغترار بالقوة أو الاستهانة بالمواجهة.

فالمؤمن لا يطلب البلاء، لكنه إذا نزل به البلاء ثبت وصبر، ولا يدخل طريقًا إلا بعد إعداد وحكمة ومعرفة بالعواقب.

عبر خالدة من القصة

تؤكد قصة بني إسرائيل أن الله يمتحن عباده ليظهر حقيقة ما في القلوب، وأن من يدعي فعل الخير قد لا يثبت عليه إذا جاء وقت التضحية.

كما تعلمنا أن الظلم من أعظم دوافع الدفاع عن الحقوق، وأن استرداد الديار وحماية الأبناء من المعاني التي ذكرها القرآن ضمن سياق القصة.

وتبقى الرسالة الكبرى أن طريق النصر يبدأ بإصلاح النفس، وصدق النية، والثبات على الحق، لأن الأمم لا تنهض بكثرة الكلام، وإنما برجال ونساء يحملون الإيمان ويثبتون عند الاختبار.

تقارير

خصم 50% على مونوريل شرق النيل يكشف أزمة التسعير وضعف إقبال محدودي الدخل
الجمعة 22 مايو 2026 06:30 م

تقارير

استغاثة عاجلة لإنقاذ حياة الدكتورة شيرين شوقي المعتقلة بسجن العاشر من رمضان
الأربعاء 15 أبريل 2026 11:00 م

مقالات متعلقة

نوعرف ىلع نوفعضتسملا رصتني نيح ..نيكمتلاو مايصلا نيبء اروشاع

عاشوراء بين الصيام والتمكين.. حين ينتصر المستضعفون على فرعون

لمعلاو نيقيلا ةعانصىلإ نيملكتملا لدج نم .. ردقلاب نامي‌لإا

الإيمان بالقدر .. من جدل المتكلمين إلى صناعة اليقين والعمل

ةعيرشلا دصاقملا ةفلاخمو شغو مارح ةماقلإا لجأ نم يروصلا جاوزلا :عاتفلإ يبورولأا سلجملا

المجلس الأوروبي للإفتاء: الزواج الصوري من أجل الإقامة حرام وغش ومخالفة لمقاصد الشريعة

تاذلاو دوجولل نانسنلإا ةيؤر علبء ةداعإو ميركلا نآرقلا

القرآن الكريم وإعادة بناء رؤية الإنسان للوجود والذات

- التكنولوجيا
- دعوة
- التنمية البشرية
- الأسرة
- مبدئيا

- الآخبار
- المقالات
- تقارير
- الرياضة
- تراث
- حقوق وحريات

إشترك ادخل بريدك الإلكتروني

جميع الحقوق محفوظة لموقع نافذة مصر 2026 ©